CC BY

الخوفُ من المكانِ في الشعرِ الأَندلسيّ

–القرن الخامس الهجريّ –

رغدة بسمان الصائغ * فوَّاز أَحمد محمد صالح**

تأريخ التقديم: 2021/6/3 تأريخ القبول: 2021/7/3

المستخلص:

يشكل المكان عنصرًا مميَّزًا ومؤثرًا في تشكيل الشعر؛ وذلك لما له من تأثيرات وانطباعات تنعكس على نفسية الشاعر، فتثير فيه مشاعر الارتياح والبهجة، أو عكس ذلك؛ إذ يبعث المكان الشعور بالضجر والنفور.

الشعراء الأَندلسيون كغيرهم تحسَّسوا من بعض الأماكن وتشكل لديهم موقفاً عدائياً يثير الخوف ويبعث الفزع في نفوسهم ، وقبع قسم من الشعراء تحت وطأة السجون فعاشوا التجربة بكل تفاصيلها ومخاوفها فحمل السجن دلالات سلبية، ولَّدت حالة من الخوف والنفور منه، أما القبر فكان يذكرهم بمصيرهم القادم فيستحضر في بالهم ظلمته وعذابه ووحشته فيثير مشاعر الخوف، كما أنّ أطلال المدن المهدمة بفعل الحروب هيجت مشاعر الخوف في نفوس الشعراء بوصفه رمزًا للفقد والزوال، فلم تكن هذه الأماكن مجرد أحجار أو أماكن للمرور بها، بل حملت مواقف تفاعل الشاعر معها وخلقت حالةً نفسيةً متأزمةً من خوف وتوتر وكراهية، فترجموا ذلك بقصائد مشحونة بالعاطفة؛ لذلك جاء شعرهم صورة لانفعالاتهم وأَحاسيسهم تجاه المكان .

واتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي بتحليل أَبرز الظواهر اللغوية والفنية للوصول لمقاصد الشاعر فقام البحث بدمج الدراسة الفنية مع الدراسة الموضوعية في إِطار واحد بغية الوصول إلى رؤية شمولية عن موضوع المكاني في الشعر الأَندلسي.

* طالبة دكتوراه/قسم اللغة العربية/كلية الآداب/جامعة الموصل.

** مدرس/ قسم اللغة العربية/كلية الآداب/جامعة الموصل.

والغاية من البحث:

1- الوقوف على النماذج الشعرية التي صورت إحساس الشاعر تجاه الأماكن الباعثة على الخوف، والبحث عن إجادته في توظيف اللغة والأساليب والصور الشعرية.

الكلمات المفتاحية: الخوف من المكان ، الخوف من القبر، الخوف من السجن، الخوف من الطلل.

علاقة الشاعر بالمكان:

للمكان حضور قوي وفاعل في النفس الإنسانية؛ إذ يرتبط بوعي الإنسان منذ صغره، فيحتفظ في ذاكرته العديد من الذكريات والانفعالات المرتبط بالمكان، وتظل محبوسة في ذاكرته حتى يجد له المتنفس،[1] وكان الشعر أحد سُبل التفريج عن هذه الانفعالات.

والأنسان يحس بالأماكن وينسجم معها أو ينفر منها، فهي ((من أهم العناصر التي يوجه إليها الإنسان مشاعره سواء أكانت مشاعر ألفة أم مشاعر معادية فهي تخضع للوضع الفكري والنفسي الذي يعاني منه الإنسان، وزيادة على ذلك فإنّ الموقف من المكان متأت من قيمة المكان وما يثيره من أحاسيس ومشاعر في وعي الشعراء بوصفهم أكثر الناس حساسية تجاه البيئة المحيطة بهم))[2]

وعلاقة الإنسان بالمكان علاقة تأثير متبادل، فكما يترك الإنسان أثراً في كل زاوية من المكان، ثم يعود المكان ويمارس تأثيره في الإنسان، فهناك أماكن جذابة تساعد الإنسان على الاستقرار ، وهناك أماكن طاردة تلفظه عنها [3] فبحكم هذه العلاقة بينهما تتضح علاقة المكان بالشعر، فالشعراء هم أكثر تحسساً من غيرهم

---

(1)ينظر: الرواية والمكان، ياسين النصر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد –العراق، د.ط، د.ت، ج2: 16

(2)المكان في الشعر الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة (92-422ه)، دار غيداء، الأردن، د.ط، 1434ه-2013م: 105

(3)ينظر: صورة الآخر في الشعر الاندلسي والمغربي، أ.د. أحمد حاجم الربيعي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان –الأردن، د.ط، 2018: 327

بطبيعة الأشياء، فمن الممكن أن يصبح للمكان دوراً مؤثراً في العمل الأدبي فيكون له دلالة تحاكي شيئاً ما في نفسية الأديب [1] مثلاً كثيرا ما كانت الطبيعة الزاهية من مروج وبساتين تبعث البهجة والسعادة لنفسية الشاعر، وفي المقابل كانت بعض الأماكن القفرة والمغلقة غير المألوفة باعثاً للخوف والنفور منها، فترجموا ذلك بقصائد مشحونة بالعاطفة، لذلك جاء شعرهم صورة لانفعالاتهم واحاسيسهم تجاه المكان ، ونقسم دراستنا للخوف المكاني إلى :

أولاً الخوف من القبر:

الإنسان دائمًا في خوف مما سيؤول إليه في قبره، ولاسيما عندما يشعر بدنو أجله، وفيه ((ابتلاء والفتنة والسؤال))[2] فالإنسان بوفاته تنتهي رحلته المكانية في الدنيا، ولكن ((حياة الإنسان لا تنتهي وتنقطع بالموت، وإنما الأمر انتقال من حياة إلى حياة من الحياة الدنيا إلى الحياة الآخرة)) [3] وأولى مراحل هذه الحياة القبر ومن الطبيعي أن يخاف الإنسان من القبر وفتنته كيف لا؟ والرسول (صلى الله عليه وسلم) قال: ((ما رأيت منظراً قط إلا القبر أفظع منه))[4] فإنَّ القلب ليرتعب، والجسم ليرتجف، ولتصك الأضلاع عند سماع الحديث، فما وجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) من منظر مرعب إلاّ والقبر أفظع بوحدته وضيقه، وما به من عذاب.

فالشاعر المسلم كان دائم في التفكير بالقبر والرهبة منه،فـ((هو مرحلة من مراحل الوحدة والوحشة، حيث لا سمير ولا رفيق، حيث جميع الناس منشغلون في

(1)ينظر: الرواية والمكان ، ج2: 20

(2)فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(773-852ه)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه واستقصى أطرافه، ونبه على أرقامها في كل حديث: محمد فؤاد عبدالباقي، المكتبة السلفية، د.ط، د.ت :11/ 451

(3)الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهدي ملوك الطوائف والمرابطين:، د. منجد مصطفى بهجت، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط1، 1407ه-1986: 404 .

(4) الجامع الكبير – سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي(ت 279ه)، ت: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م:4/ 130

أمور دنياهم))[1] و الشاعر ابن حزم(ت 465ه) قد صوّر لحظة مفارقته للأهل والركون إلى القبرِ، فيقول:[2]

1- كأنَّك بالزُّوارِ لي قَدْ تَبَادَرُوا وقيلَ لها أَودْىَ عليَّ بن أحمدِ

2- فَيَا رُبَّ محزونٍ هناك وَضَاحِكٍ وكَمْ أدمعٍ تُذْرى وخدٍ مُخَدّدِ

3- عفاالله عنّي يوم أرحلُ ظاعناً عن الأهلِ مَحمُولاً إلى بَطْنِ مُلحدِ

4- وأتركُ ما قد كُنتُ مُغتبطاً به وألقي الذي آنَسْتُ دَهْراً بمَرْصَدِ

5- فوا راحتي إن كان زادِي مُقَدّماً ويَا نَصبِي إن كُنْتُ لم أتزوّدِ

تظهر الحالة الانفعالية والنفسية للشاعر، فهو شديد الخوف من مصيره في القبر ، ودائما في ذكره فصوّر مفارقته للحياة، ويتضح ذلك من خلال افتتاح أبياته بأسلوب الدعاء(عفا) والذي خرج للدعاء المكلل بالرهبة والفزع من الموت وما سيلاقيه بعد موته، فتضرع لله تعالى لينجيه ويعفو عنه، كما جاءت (ظاعنا) تجسد أسفه وحسرته على انقضاء عمره سريعاً دون أن ينتبه لذلك ويعد له العدة.

(1)فلسفة الحياة والموت في الشعر الأندلسي، د. مقداد رحيم، مجلة الأستاذ، ع/207، مج /1، 1435ه-2013م : 116

(2)ديوان ابن حزم الأندلسي(ت 465ه) تحقيق: عبد العزيز إبراهيم، دار صادر، بيروت- لبنان، ط1، 1431ه- 2010م: 58، (ق: 45)

وما يعمق شدّة الحزن والألم هو مفارقته للأهل ، (يوم الموت) متى سيكون، فليس منا من يدري متى يومه؛ لذلك جاءت لفظة (يوم) منكره لتشمله و تشمل غيره، و كذلك ما يخيفه ما بعد الموت اللحد و ظلمته لذا يطلب عفو الله تعالى ، وقابل الشاعر في البيت الثاني بين ما كان متعلقاً به في الحياة وما سيكون عليه، ومصيره معلق بين احتمالين: الأول: الراحة والهناء إن كان عمله صالحاً، ونجد الشطر الأول(فو راحتي إن كان زادي مقدماً) افتتح بـــ (وا) الندبة التي عكست انفعاله في لحظة قوله البيت وما يعاني من ألم وحزن، وليس ندبه لمصيره. والاحتمال الثاني: خوفه مما قد يتعرض له(يا نصبي إن كنتُ لم أتزود) فالنداء هنا خرج للتفجع والتحسر ؛ وذلك لعدم تجهزه لهذا اليوم.

واستعمل الألفاظ(أرحل، ظاعاً، محملاً، ملحد) وهذا الألفاظ تخلق جواً من الحزن والخوف، وأسهمت قافية الدال المكسورة في الإفصاح عن حالته الانفعالية إذ جسدت الكسرة بدلالتها على الصغر واللطف[1]، حالة الخضوع والذل الذي تنتاب الشاعر لوجله من القبر، فضلاً عما يحمله صوت الدال من شدة تناسب حالة الضيق والشدة التي يعانيها وهو يفكر بالقبر، فأظهرت الأبيات مسلكاً دينياً في خوفه من الموت والقبر ما بعد الموت وما سيلاقيه من شقاءٍ أو نعيمٍ .

وقد نغصَ الخوف من القبر حياة الشاعر ابن عبد البر القرطبي، فجسد ذلك قائلًا[2] :

وأخـــــو العِبـــــادَةِ يَـــــبـــــغْي دَهْـــــرُهُ التَـــــخَلُّصَ من مخاوف قَبْرِهِ مُتَـــــنَغـــــصٌ

يعيش الشاعر حالة من الخوف من الموت والقبر اوجزها من خلال قوله(دهره متنغص) فقد كدّر الخوف والتفكير بالقبر حياته وأفسدها فيريد الخالص من هذا

(1) ينظر: في سيمياء الشعر العربي دراسة نظرية وتطبقيه: محمد مفتاح، دار الثقافة، الدار البيضاء- المغرب، د.ط، 1409ه-1989م: 68

(2)أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي الأندلسي الفقيه المحدث والعالم الأديب الشاعر الحكيم، عبدالله بن سعد الرويشد، مجلة الدارة، ع 2/ س/ 13، 1408ه: 37

الخوف، كما نلحظ أنَّ لفظة الخوف جاءت بصيغة الاسم المجموع (مخاوف) ليدل على عظمة القبر وهيبته، وتعدد مخاوفها في ظلمته ووحشته و عذاباته التي أشار إليها الدين الإسلامي.

ومما أثار خشية الشعراء فتنة القبر وسؤال الملكين للميت واختباره، فإن أجاب فقد نجا، وإن فشل فيعذبه ربه عذاباً شديداً، فالحصري القيرواني(ت 488ه) كتب قصيدة بعد وفاة أبنه عبد الغني، يسأله عن حاله وهو في عالم الموتى، فيجيبه أبنه ويحذر والده من فتنة القبر المخيفة التي لا ينجُ منها إلاَّ المؤمن المخلص بطاعة الله تعالى؛ لذلك يدعو والده للعمل الصالح، قائلاً [1] :

27- سَأَلتُ حَبيبَ النَفسِ أينَ مكانُه ... إذا نُشرَ الموتى وأينَ مكاني

28- فَقالَ مكاني حيثَ جئتَ بجنّةٍ ... مذللةٍ منها القطوفُ دواني

30- وَ يَا أَبَتِ احْذَرْ فِتْنَةَ الْقَبْرِ إِنَّهَا ... مَخَافَةُ مَنْ لا يَجْتَهِدْ لأمَان

31- وَ يَا أَبَتِ اعْمَلْ لَسْتَ عَنّي جَازِياً ... وَ لا عَنْكَ أَجْزِي غَيْرُ شَأْنِكَ شَانِي

32- وَ يَا أَبَتِ اتْلُ الذِّكْرَ حَسْبُكَ واعِظاً ... تَدَبُّرُ آيٍ فُصِّلَتْ وَ مَثَانِ

33- وَ يَا أَبَتِ ... وَ يَا أَبَتِ

(1)أبو الحسن الحصري القيرواني(ت 488ه)، تحقيق: محمد المرزوقي، و الجيلاني بن الحاج، مكتبة المنار، تونس، د.ط، 1963م: 376.

اسْتَـــــيْـــقِـــــظْ فَإِنَّـــكَ اسْتَـــــعْـــــجِلْ
نَـــــائِـــــمٌ فَـــــإِنَّـــــــــكَ وَان

تقمص الحصري دور الناصح المرشد من خلال المشهد الحواري بينه وبين ابنه المتوفي، فيبدأ الشاعر الأبيات بالحوار فيسأل ابنه عن مكانه ومكان الشاعر فيجيبه مكانه –الشاعر– لا يعرفه لكنَّ مكان الابن في الجنة حيث قطوفها الدانية، فالتساؤل يوحي بنفسيته الخائفة على مصير ولده، يتحوّل الحوار فينتقل الابن من متلقٍ للخطاب إلى مرسل له، والأب العكس، فأول ما يحذر منه الابن –المتوفي– والِده بعد أن غادر الحياة فتنة القبر وهذا يدل على عظمة القبر وشدة رهبة الشاعر منه مما دعاه إلى تنبيه المتلقين على لسان ابنه من عذاب القبر و فتنته فهي مرعبة لكل من لم يجتهد بالعمل الصالح، ثمَّ يستمر الابن وينصح بالعمل الصالح والذكر وتمعن آيات القرآن.

فبرز خوفه من القبر بأُسلوب التحذير والنصح الذي أتبعه ، كما نلحظ تكرار أسلوب النداء (يا أبت) وذلك؛ لتنبيه المتلقين وجذبهم إلى هول عذاب القبر، فضلاً عن تكرار الأساليب الطلبية، فتكرار الاستفهام (أين) جاء يعكس الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر بين حزنه لوفاة ابنه، وجزعه وخوفه من مصيره بعد موته، وكذلك تكرار أسلوب الأمر(احذر، اعمل، تدبر، أتل، استيقظ، استعجل) وهو يناسب موضوع التحذير والنصح الذي اتبعه الشاعر.

فحمل هذا الحوار دفقات شعورية أراد من خلالها التعبير عن خوفه من الموت والقبر، وتنبيه المتلقين؛ لذلك وتوجيههم نحو العمل الصالح وترك ملذات الدنيا، ومما يلاحظ تكرار الكسرة بشكل لافت فأسهمت في تكثيف دلالة الانكسار والضعف الذي يعيشه الشاعر.

والإلبيري(ت 460ه) عندما ((يتذكر الموت تنتابه نوبة من الرهبة والوجل أمام ما سيلاقيه من مصير، فترتسم أمامه ظلمة القبر ووحشته في وحدته، فلا مال يغنيه

ولا ولد يواسيه،))[1] لذا يستغرب كيف لم نتعظ من القبر، فهو موعظة ونصح لذوي الألباب، إذ يقول[2]:

6- مـــــا أوعـــــظَ مَـــوعِـــــظَـــــةَ
الـــــقَـــــبـــــرَ النَّـــــاطِـــــق
لـــــو قَبِـــــلنـــــا الصّـــــمـــــوتْ

7- يُـــــوحِـــــي إلـــــى مـــــالَـــــكَ مِـــــنْ
مُـــــتـــــطَـــــلِـــــي مَـــــضْـــــجَـــــعي
الحَـــــشَـــــايـــــا عَـــــمـــــيْـــــت؟

8- نســـــيـــــتَ وسَـــــوفَ
يـــــومِـــــي وطـــــولَ تُـــــنســـــى
نَـــــومِـــــي كَـــــمَـــــا
نـــــسِـــــيـــــتْ

تعجب الشاعر من أمر الناس كيف لعاقل لا يتعظ من القبر، هو الناطق بصمته ووحشته، فالقبر يوحي بالرهبة والعبرة نتيجة لما يحدثه الموت في نفوس الناس من خوف ورعب[3] ، فالأبيات استنكار لعدم تحوّل هذه الرهبة من القبر والموعظة لسلوك ينجيه من وحشة القبر، فيشخص الشاعر من القبر إنساناً يخاطب الموتى ويوبخهم لغفلتهم عنه، وينبئهم بمصيرهم بعد الموت أنّهم سوف يصبحون في طي النسيان كما نسوا هم القبر والحساب، فالاستفهام خرج لمعانٍ مجازية منها التوبيخ، وورد وصفه للقبر بصيغة الاسم المضعف (الصَّموت) ليدل شدة الصمت ووحشته ، فيبعث الرهبة

(1)الزهد في شعر أبي إسحاق الإلبيري ، مذكرة ماجستير للطالب وحدي عبد الحميد، جامعة محمد خضر–بسكرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، الجمهورية الجزائرية، 2008–2009: 80

(2)ديوان أبي إسحاق الإلبيري الأندلسي (ت 460ه)، تحقيق:د. محمد رضوان الداية، دار الفكر العاصر، بيروت–لبنان، دار الفكر دمشق–سورية، ط1، 1411ه–1991م: 62–63

(3)ينظر: دراسات نقدية تحقيقية في الشعر العربي الأندلسي، د. محمد عويد الساير، منشورات كلية التربية الإنسانية، جامعة الأنبار، العراق، ط1، 1434ه–2013م: 57

في النفوس، ولكن هذا الصمت الرهيب ينطق بوحشة القبر وظلمته، ووظَّفَ في أبياته جل حروف الجهر وكررها وأراد أن يعبّر عن حالة الضيق، وانقطاع النفس التي تلازمه لخوفه من القبر والحساب والتفكير به من خلال الأصوات؛ لأنَّه يصاحب النطق بها انحباس مجري النفس لقوتها في النطق[1] ، وانقطاع النفس وانحباسه من أبرز دلائل الخوف.

والقبر مقترن بالصمت والرهبة ويرسم في أعماقنا حالة من الجمود والسبات والخوف [2] ((فما بالك بالشاعر صاحب المشاعر المرهفة، والعواطف البسيطة التي تتأثر لأي موقف ، فيثير شجوها وشجنها فقد ظلَّت فكرة الموت تلاحقه لإدراكه حتمية هذا الأمر الذي تجعل الحياة يقيناً لا مفر له))[3] فقد راع صمت القبر ووحشته ابن خفاجة(ت 533ه) وأقلقته فكرة الغياب التي يتعرض لها في قبره فيُنسى، فيذكر الشاعر الموت و أهواله، وحاول أن يزرع في النفوس الرهبة من الموت ؛ ليبعدهم عن سخط الدنيا و زلتها فلا أمان فيها طالما طريقها موصل للموت ، فيقول [4] :

1- ألا صُـــمَّتِ الْأجْدَاثُ عَنّـــي ولَمْ يُـــــغْنـــِني أَنـــّي
فَلَـــــمْ تُجِبُ رَفَعـــْتُ بِهاَ صَوْتِي
2- فَـــــيَا عَـــجَـــباً لـــِي وَغَـــــايَـــةُ مَا أَدْرَكْـــــتُ
كَيـــــْفَ آنَسُ بِالمُنَى مـــــنْها إلىَ فَـــــــوتِ
3- وَهَـــــــلْ مِـــــنْ سُرُورٍ، أوْ وَمُفْـــضَى عُبُورِ الغَابِرِيْنَ إلى

(1)فقه اللغة: د. حاتم صالح الضامن، مركز جمعة للثقافة والتراث، بغداد- العراق، د.ط، 1411ه-1990م: 152

(2)ينظر: الحياة والموت في الشعر الأندلسي عصر المرابطين حتى نهايات الحكم العربي، 484ه-897ه، أطروحة دكتوراه، دراسة تحليلية نقدية، فائزة رضا شاهين العزاوي، كلية التربية بجامعة تكريت، 1434ه-2013م: 129

(3)أبحاث ودراسات في الشعر الأندلسي ويليه(ابن هذيل التجيبي الغرناطي) محمد عويد محمد الساير، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، د.ط، د.ت: 57

(4)ديوان ابن خفاجة(ت533ه)، تحقيق: د. السيد مصطفى غازي، دار المعارف، الاسكندرية-مصر د.ط، 1960م: 309، (ق: 242)

أَمـــانٍ لِعـــــــاقِلٍ، الْمَوتِ

تسيطر الرهبة والدهشة على هذه الأبيات، وهو يتذكر الصمت الرهيب الذي ينتظر الإنسان في قبره، فلا يغني أنّ نرفع صوتنا ونكلمه ،فأي وحشة يعيشها الإنسان وهو غافل عنها!.

لذا جاء بـــ (ألا) الاستفتاحية ، لتنبيه المتلقي إلى القبر وهوله، وتحذيرهم من سوء غفلتهم عنه، والشاعر متعجباً مستنكراً كيف نسى الموت وفات عنه ذلك، واطمأن للحياة، وارتفعت نبرة الشاعر من هول الموقف فيوظّف الاستفهام الاستنكاري (هل) فينكر السرور والأمن في الحياة فالإنسان ينتظره مصير محتوم هو الموت والإقامة في القبر، والحياة محطة عبور تنتهي إلى الموت فالأولى التزود وعدم التعلق بزيفها، و تكرار حروف الجر قد شكَلَّتْ ظاهرة واضحة في الأبيات فتكرار (إلى) مرتين؛ يحمل تأكيداً لحتمية الموت والفوات، بينما الحرفين(عن ، واللام) ارتبطاً بحديث الشاعر عن نفسه، فحملت في ثناياها معنى التجاوز لذلك الصمت الرهيب وتأكيد على رهبة القبر والموت، كما جاءت القافية بحرف الروي التاء المكسورة وهو حرف مهموس وشديد[1] ،يناسب حالة الحزن والخوف والتي يعشها الشاعر.

ثانيا: الخوف من السجن

ويرجع بروز هذا اللون من الخوف إلى ((الصراع السياسي واشتراك الشاعر في الحياة السياسية وتقلباتها، وامتزاج السياسة والشعر في شخصية واحدة، واضطراب حبل الأهواء من حال إلى حال))[2] ، زيادة في ذلك يمكن أن نرجع بروز هذا اللون من الخوف ، إلى المؤامرات وسعايات الحساد والوشاة والتنافس على هبات الأمراء مما يدفع الحساد إلى الإيقاع بالشعراء والالقاء بهم في غياهب السجون ، فضلاً عن الجرائم الدينية والدنيوية التي توجب ادخال مرتكبيها السجن.

(1) ينظر، فقه اللغة: 149

(2) تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، د. إحسان عباس، مصر – القاهرة، ط1، 1960م: 78

ولعلَّ من أصعب ما يمر به الأنسان، تلك الأيام التي يتجرع فيها الذل، ومرارة الحرمان، وفقدان الحرية، ويقبع في مكان مغلق يسلب الفرد حريته، ويعمق عزلته؛ لانحساره في مكانٍ ضيق، بعيدًا عن الأهل فيعيش صراعًا مع نفسه، ويشعر بالخوف المستمر.

ولعلَّ من أصعب ما يمر به الأنسان، تلك الأيام التي يتجرع فيها الذل، ومرارة الحرمان، وفقدان الحرية فيعيش حالة من الخوف و الفزع المستمر، يولدها شعوره بعزلته عن العالم الخارجي، وإخضاعه للرقيب المستمر، ومصادرة إرادته

وعلى الرغم من أنَّ ((السجن يعد فضاء شديد الانغلاق ويصادر الحرية، إلا أنه قد يصبح مكانًا لانفتاح الخيال))[1] إذ يبحث فيه السجين عن متنفس لما يعانيه ((فهو في حالة من الحرمان الحسي من الداخل ويحاول أن يعالجها معالجة ذاتية لا يدرك وقعها إلا من ذاق مرارة ذلك الإحساس))[2]؛ لذا نجده ينتج فيه شعرًا يصوَّر عالم السجن، بكل ما فيه من معاناة، وألم، وحرمان، وخوف، ويبث فيه ما يختلج في نفسه من انفعالات، وما يدور في ذهنه من أفكار، وهو يكابد ألم السجن [3] فيصبح الشعر وسيلة لوصف الهموم النفسية، وما ينتاب النفس من انفعالات متضاربة، وللاستعطاف .

ويعد الشعور بالغربة من أهم المشاعر التي تعتري السجين، وهذا بفعل السجن الموحش المخيف، وهو جزء من الأثر النفسي الذي تبعثه رهبة المكان، فقد رأوا الشعراء عامة أنَّ تجربة السجن عامة عامل في هدم الذات الإنسانية؛ لأنَّه يصادر

---

(1) حركية الفضاء في الشعر الأندلسي، نصوص ابن زيدون أنموذجًا د. مثنى عبدالله المتيوتي، دار مجدلاوي، عمان –الأردن، ط1، 2013م:88

(2)الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري(دراسة اجتماعية نفسية) د.أحمد علي الفلاحي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان_ الأدردن، 2013م: 133

(3)بواعث القلق ومظاهره في الشعر الأندلسي، عصر المرابطين(دراسة تحليلية)، أطروحة دكتوراه، عبدالله عبد العلي، إشراف أ.م نضال إبراهيم ياسين، جامعة البصرة، كلية التربية، قسم اللغة العربية1435ه-2001م: 126

حرية الإنسان[1] فعانوا من الوحدة والعزلة، والشاعر ابن شهيد(ت 426ه) عانى ذلك فساق مشاعره، وأحاسيسه في ظلمة السجون عبر أبياته التي امتزجت فيها مشاعره بالخيال، فهول السجن والأجواء النفسية التي عاشها تحت وطأة القهر والظلم، جعلته يعيش حالة من الاغتراب والخوف، ويطلق صرخات الجزع لعلّه يسمعه شخصٌ ما، فيقول [2] :

6- فَمَنْ مُبلِغُ الفتْيانِ إنِّيَ بَعدهمْ مُقيمٌ بدار الظَّالِمينَ، وحيدُ

7- مُقيمٌ بدارٍ ساكِنوها من الأذَى قِيامٌ على جمرِ الحِمامِ قُعودُ

8- وَيُسمع للجنَّان فِي جنباتها بَسيطٌ كرَجيع الصَّدَى ونَشِيد

لا يجد الشاعر، إلاّ صيحات الاستعطاف التي يرسلها، التي تجسد هول المكان، ووحدته، فالاستفهام(فمن) يستنجد وحدته واغترابه فيبحث عمن يشاركه معاناته، فهو وحيد في السجن، ويعاني أشكال التعذيب حتى غدا السجن كجمر الموت، وهم لا يهجعون قيامًا قعودًا فالتضاد (قيام_قعود) يعبّر عن حالة نفسية متقلبة أسبابها مختلفة بين خوف، وشوق، وقهر، فهذه الحركة ردة فعل لا إرادية لمخاوفه، ومبالغة في وصف هول المكان يشرك الطبيعة(الحيات)، فيسمع المتلقي فحيح الأفاعي التي تحيط في السجن، فيسمع صداها فنلتمس هنا إشارة إلى الوحدة المطبقة عليه التي تأتي داعمة لما ورد في شطر البيت الأَوَّل، فنسمع نبرة الحزن والخوف بالصورة

(1) الخوف في الشعر الأموي، أطروحة دكتوراه، حسين محمد محمود عبيدات، إشراف أ.د. يونس شنوان، جامعة اليرموك، كلية الآداب، 2012-2013م: 80

(2)ديوان ابن شهيد: 100، (ق: 18)

السمعية، ونجد تكرار اسم الفاعل (مُقيم) تعطي إشارة ليأسه فكأنه اتخذ السجن مقامًا له واستقر فيه، فلا يأمل الأفراج عنه، مما زاد من مخاوفه.

وغالبًا ما تختلط أحاسيس السجين بالإحساس بالموت، إذ يجد في السجن مصادرة للحياة؛ لذا كان يفزع كلما فتح باب السجن فيتخيل أنَّ السجان سيقوده إلى الموت، وهذا ما رسمه ابن شهيد، قائلًا [1] :

وما اهتزَّ بابُ السجن إلاّ تفطَّرتْ ... قلوبٌ لنا خوفَ الردى وكبودُ

ولستُ بذي قيدٍ يَرِقُّ و إنّما ... عَلَى اللَّحظِ مِنْ سُخطِ الأمامِ قيودُ

اثخنت المعاناة جراحها على الشاعر، وجعلته في فزع مستمر من الموت المتوقع، الذي ويمزق قلبه ويحطمه كلَّما اهتز باب السجن، وأكدّ ذلك بأسلوب القصر الذي ابتدأ به، فأضافت الصورة الكنائية (تفطرت قلوب) عمقًا ومبالغة لحالة الهلع التي تصيبهم، فلفظة (تفطرت) وحدها كفيلة بالتعبير عن عظيم الخوف الذي أصاب قلوبهم، فالانفطار لا يصيب القلب إلا من أمر مخيف وآسي، كما أنَّ حرف الروي (الدال المضمومة) جاءت ساندة لصورة الخوف والذي قدمها، فالدال حرف شدة، والضمة أثقل الحركات الإعرابية، فجاءت تجسد ثقل وشدة اللحظات التي تمر عليه وهو في أُسره، بالرغم من أنَّه ليس مقيداً بالقيود داخل السجن كما يفعل مع غيره من السجناء، إلَّا أنَّ سلب حريته وغضب الملك عليه، هو القيد ذاته، فالقيد الذي يعانيه الشاعر قيد نفسي شكّلته نفسيته الجزعة ومعاناته.

وبرزت لنا هذه المشاعر والحياة المثقلة في السجون جليًا في شعر ابن عمار، الذي تجرع مرارة الاعتقال أكثر من مرة، ومنها الاعتقال في سجون المعتمد بن عباد في إشبيليةٍ، عاشَ خلاله لحظات قاتمة، تحت وطأة الأغلال والقيود، فأرهبه هول المكان،

(1)ديوان ابن شهيد: 100-101، (ق: 18)

فطرقَ بابَ الاستعطاف؛ لأنَّه كان أملَ الشعراء في الخلاص من السجن، والانطلاق إلى عالم الحرية من جديد[1] فيكتب بقصيدة إلى الرشيد بن المعتمد، امتزجت فيها مشاعر الخوف بالأمل، والجزع بالاستعطاف، فنقلَ كل ما يختلج بنفسه، من مشاعرٍ وأحاسيسٍ في هذا الموقفِ الرهيبِ، قائلا [2] :

1- قُـــــلْ لِـــبَـــرق قـــاصِـــدًا
الغـَـمَامِ ظـــاهِرَ بَرِيـــدْي بـــالسـْـــلاَم
قِـــصّرِ الرشـــيدِ

2- فـَـتـَـقلـــب وتـَـنـَـاثـــر
فـــي جـــوه فـــي صَحْنِهِ
كـَـفُـــؤادي كـَـالـــفـــريدِ

3- وانـــتـْـحـب فـِي صَلاصِلُ ضَـجتـــي فـــي
الرَّعْدُ تُحكِي سَـــلاســـلي
وقـُـــيُـــودي

يبقى الاستعطاف ملاذ الشاعر الذي يبحث فيه عن الاطمئنان المفقود، فيكلف البرق في إرسال معاناته واستعطافه، و اختيار البرق؛ لما يُشكّل من سرعة فهو يتأمل سرعة وصل استعطافه، فهو العاجز الضعيف ينقاد لقيوده ويطلق زفرات أنينه؛ لكنّ اخرسته أصوات السلاسل والقيود، فوجد في أصوات الرعد تحاكي الأصوات المرعبة التي تصدرها السلاسل والقيود، ولا تعبّر الأبيات عن انفعال الشاعر فحسب؛ بل براعته ودقته في تصوير الخوف من صلاصل القيود، فتكرار أصوات الصفير _الصاد مرتين (صلاصل) والسين في قوله (سلاسلي) _ أسهم في تكوين صورة سمعية صاخبة للحركة الشديدة الناجمة من صوت السلاسل زائدًا على صوت الرعد؛

(1)ينظر: تجربة السجن في الشعر الأندلسي، رسالة ماجستير، رشا عبدالله الخطيب، إشراف، د.هاني العمد، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، 1996: 37

(2)محمد بن عمار الأندلسي دراسة تحليلية أدبية تاريخية : د. صلاح خالص، مطبعة الهدى، بغداد ، 1957 :309، (ق: 73)

لكنّ أنين نفسه وضجته في محبسه قد فاقت أي صوت، وهذه الصورة توحي بحالة الخوف والرهبة التي تنتابه حال سماعه لأصوات القيود والسلاسل [1] وجاءت الصورة السمعية إفصاحاً عن عزلته النفسية التي يعانيها، و تكشف عن نفسٍ بائسة مرتعبةٍ؛ لأنَّه لكلّ صورة شعرية كيانٌ نفسي تفصح عنه، وواقع فني[2] فضلًا عن أنَّ (سلاسل وصلاصل) جاءتا بصيغة منتهى الجموع (فَعَالِل))؛ لتعضد دلالة الكثرة ودلالات الترهيب .

يواصل الشاعر تحشيد الصور المعبّرة عن وضعه المأساوي مجسدًا رهبته من السجن، قائلًا [3] :

8- وأنـــــا اليـــومُ لـقـــــوةٍ
تـــحـتَ ظلّـــــل مَـــــحَـــــوْةَ
عُـــــقـــــابٍ الجـــــناح صـــــيـــود

9- أتـــــقـــيـــها ظ مَـــــرُوع
بـــــنـــاظـــرِ وخـــــاطِـــــرٌ
خـــــافـــــق مَـــــزْؤود
اللـــــــحـــــــ

تنصهر ذات الشاعر من الجزع والذل، فيخيل له أنَّ السجنَ نسُر العقابِ، حاولَ الانقضاض عليه، وفي المقابل هو فريسة ضعيفة تبارزه بنظرة الخائف، فأسقط الشاعر مشاعره في الصورة البصرية الحركية والسمعية (مخوت الجناح صيود)، وذلك على سبيل الاستعارة، فالصورة البصرية تتجسد في مشهد العقاب الذي ينقض على فريسته، والصورة السمعية تظهر في الأصوات التي تصدر أثناء محاولتها افتراسه، فهذه الأصوات هي استعارة لأصوات السلاسل والقيود، والعقاب هو السجن،

(1)الحياة والموت في شعر عصر الطوائف بالأندلس: فوّاز أحمد محمد صالح الطائي، دار غيداء، عمان د.ط، 2019م:175

(2)الخيال مفهومه ووظائفه، د. عاطف جودة نصر، د.ط، 1984م: 262

(3)محمد ابن عمار دراسة تاريخية أدبية: 310، (ق، 73)

فاستغلَّ صورة طائر العقاب وما فيها من رموز ومزج بين صفات الإنسان والحيوان في تصويره للخوف [1] من القتل في السجن وذلك؛ لأنَّ الصبغة النفسية هي التي تحكم العمل الأدبي في المقام الأول، وبهذا تتكشف في الصورة التفاصيل النفسية التي أسهمت في إبداعها[2].

ويبرز صوته المغلوب الخائف بضمير المتكلم (أنا) واقترن في الأبيات دائما؛ بالاضطراب والخوف وواقعه المزري، فضلًا عن أنَّ اسم المفعول (مروع، مزؤود) أكدَ وقوع الرعب، والذعر في نفسه وثباته، وذلك؛ لدلالته على (الحدوث والثبوت)[3] فكانت لغة الشاعر طوعًا لمشاعره.

و لم يتهاون المعتمد في تصوير أدق التفاصيل المثيرة للرعب، فوصف الحشرات السامة التي أرعبته وأسلمت عينه إلى السهر، ثمَّ عاتب الأيام بنغمٍ شجيٍّ؛ لما رمته به، ويلجأ ليستغفر الله فهو رجاؤه الوحيد وأمله، قائلًا [4] :

7- ويـــا شـــجـــًا وعـــقـــرًا
عـــَـــقـــارِبـــَـــهَا لا ولا نوعًا من الضَّـــررِ
تـــــعْـــــدمـــــي أبدًا

8- كَمَـــا مـــلأَتُـــنَّ مَـــخَافـــةً أَسْلَمَـــتْ عيَـــنِي
قَـــــلبي مِذْ حَلَلتُ بها إلى السّهرِ

9- مـــَـــاذا مِـــن نَبـــلِهـــنَّ وَلا
رَمـــَـــتْـــكَ بِهِ رامٍ ســـِوى القَـــدَرِ

(1)ينظر: وصف الحيوان في الشعر الأندلسي عهد الطوائف والمرابطين: د. حازم عبدالله خضر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد– العراق، 1987م: 221

(2)ينظر: الصورة الشعرية عند خليل حاوي، هدية جمعة البيطار، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، ط1، 2010: 236

(3)معاني الأبنية في العربية، د. فاضل السامرائي، دار عمار، عمان، ط2، 2007م: 52

(4)ديوان المعتمد بن العباد ملك إشبيلية، جمعه وحققه: د. حامد عبد المجيد، و د. أحمد أحمد بدوي، راجعه : د. طه حسين، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط3، 1421ه–2000م: 100

الأَيّـــــــامُ يا كبِدِي

10- أَســـــرٌ وَ عـــسْرٌ ولا أستَـــغفـــــرُ اللهَ

يُســـــرٌ أُومـــــلُـــــهُ كَـــــمْ لله مِـــــن

نَـــظـــــرِ

فبعد أن سئمَ الشاعر من السجن وغربته، لم يجد من يشاركه آلامه، فيخاطب الطبيعة الحية ممثلةً بالعقارب والحشرات المحيطة بالسجن؛ ليُشركها في توصيف شعوره ونقله، فيأتي حرف النداء الطويل (يا) مجسدًا ومستوعباً لمشاعره التي امتزجت فيها مشاعر الحسرة والخوف، ليأتي النفي (لا تعدمي) كاشفاً عن استسلام الشاعر وقهره، وخرج النفي هنا لغاية بلاغية هي التعبير عن تضجره من واقعه، واعتمد ملمحًا بلاغيًا وهو (التشخيص) من خلال إضفاء صفات إنسانية للحشرات، تكشف مقدار الوحدة التي يعانيها، فيشخص من الحشرات إنسانًا، وربما تكون هذه العقارب رمزًا لحرس السجن ولا يقصد بها العقارب الحقيقة، وعلى أيّ حال كانت هذه العقارب مصدر خوف للمعتمد، حتى حرمته النوم، ويعترف صراحة بذلك من خلال (مخافة) وخوفه هنا مبرر؛ لأنَّه يعيش تجربة السجن بكل تفاصيلها وباعث الخوف معلوم، فعكست مشاعر الخوف لا القلق، وفجر الموقف المريب في السجن انفعالاته حتى أبرزها من خلال لغته وأُسلوبه، فـ (مخافة) جاءت بصيغة المصدر لتوحي بثبات الخوف واستقراره في فؤاده، ويأتي الاستفهام(ماذا) معمقًا للتأزم النفسي فخرج للتحسر، ملقي لومه على الأيام فهي من أوصلته لهذا، فهذه السمات البلاغية والأسلوبية فرضتها حالته النفسية، ويجسد من الأيام شيئًا محسوسًا أو آلة حربية ترمي نبلها نحوه، والرامي هو القدر، واستعان الشاعر بالبحر البسيط المخبون التفعيلة ؛ ليعبر عن انفعالاته النفسية المضطربة فهو بحرٌ متناغم بنغماته ارتفاعًا وانخفاضًا فهذه الحركة تدل على توتر الشاعر واضطرابه نتيجة للخوف؛ فكل ما في السجن مريب، فضلا عن دخول زحاف الخبن الذي هو ((حذف الثاني

الساكن))[1] فحذف السكنات يزيد من الحركة وتقلل الهدوء فحذف السكون يكشف توتر الشاعر، وافتقاده للسكون النفسي، ويأتي الانسجام الصوتي عبر الجناس بين (أسر–عسر–يسر) كاشفًا عن ثقلِ اللحظة التي يعيشها بين أسر وعسر من غير فرج، فهذا الانسجام يجذب المتلقي ليشاركه شعوره بالخوف والضعف، ثمَّ يبرز الجانب الديني فيلجأ للاستغفار لعلَّ الله تعالى يفرج كربه، فالدعاء والاستغفار يأتي كمعادل معنوي لحالة الخوف.

ويصف ابن حزم (ت 465ه) معاناته في السجن، وقد تكالبت عليه مشاعر الشوق للأهل،، واللوعة والحزن لسلب حريته، والفزع من وضعه داخل السجن، مصورًا نفسه، باكيةً العينان، امتلأت أضلعه، وقلبه بنار الحزن، والخوف فضاقت عليه، كثير من الهموم، بعيدًا عن الأهل، مفزعًا، يطلق زفراته المنبعثة من قلبه الملتهب فيذوب لها قاسي الحديد، قائلًا [2] :

1- مُسَهَّدُ قَدْ طالما
القلبِ في خدّيه شَرِقَتْ بالوجدِ
أدمُعُهُ أضلُعُهُ

2- دَاني الهُمومَ رَجع الأنين
بعيدُ الدارِ نازحُها سكيبُ الدمعَ مُفزَعهَ

3- يأوى إلى قاسي الحديد
زَفراتٍ لو فُواقًا ذاب أجمعهُ
يباشرها

أصدق طريقة للتعبير عما يختلج نفوسنا ترك مشاعرنا وانفعالاتنا تسترسل في وصف نفسها، و الشاعر أسلم التعبير لانفعالاته، فجاءت الأبيات صورة قاتمة لنفسه

(1)علم العروض والقافية، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت_ لبنان، د.ط، 1407ه–1987م: 172

(2)ديوان ابن حزم الأندلسي، جمع وتحقيق: د. عبدالعزيز عتيق، دار صادر، بيروت، ط1، 1431ه–2010م: 100

الجزعة، فقد أفضت تجربة السجن بالشاعر إلى بث لواعج معاناته، فالصورة الاستعارية (شرقت بالوجد أضلعه) فضلًا عن اللمسة الفنية فقد بالغت في توصيف حرارة الشوق والوجد، كما أن الصورة في البيت الأخير جعلت المتلقي يشعر بحرقته فنار قلبه الخارجة مع زفراته أذابت الحديد لحرارتها، فقد عبّر بـــالصورة المحسوسة المتخيلة عن المعاني الذهنية والحالة النفسية[1] كما إنَّ تكرار ضمير الغائب (الهاء) العائد إلى الشاعر جاء؛ ليؤكد تعلق هذه الانفعالات به، ووظَّف قافية الهاء، والهاء المطلقة تعطي امتدادًا صوتيًا واسعًا يتمكن من حمل شعوره النفسي وحالته الوجدانية، فضلًا عن إنها حرف رخو يناسب حالة الفزع والضعف الذي تنتابه.

والشاعر عبد الملك الحجاري(ت 454ه) الذي أرعبه السجن، فأخذ يركز في أبياته على وصف السجن، وما يحمله من دلالات سلبية، فنفسه تختنق وتكاد تموت وهي مرتمية في ذلك المكان الضيق، فمن شدة تأزمه النفسي يشبه السجن بالقبر، قائلًا [2] :

1- فَـدَيْـتُـــكَ هَـــلْ لي مِـنكَ رحْمِى لَعَلَّنِي ... أُفـــارِقُ قَبـــرًا فـــي الحَـــيَاةِ فـــأَنْـــشرُ

2- وليـــسَ عـــقـابُ الـــمذنـبـين بـــمنـــكَرٍ ... ولـكـــنْ دَوامُ السـخط والعـــتـــبِ يُنـكرُ

3- ومَـن عَـــجَـــبٍ قـــولُ الـــعُداةِ مثـــقّلٌ ... ومـثـلـيَ فـــي إلحـاجـه الـــدهـْـــرَ يُعْذرُ

فالشاعر عبّر عن رهبته من السجن من خلال تشبيهه بالقبر، وما استحضار هذه الصورة إلا ليبين لنا ما تحمله نفسه من دلالات سلبية تجاه هذا المكان، المليء بالخوف والوحدة، فهذا التشبيه يرجف القلوب ويجعله في مشهد تصويري مرعب، لذا جاء بـــ(لعلَّ) ليؤكد رغبته ورجائه في الخلاص من هذا المكان المرعب، وسبقت

(1)التصوير الفني في القرآن الكريم: سيد قطب، دار الشروق، القاهرة_ مصر، ط الشرعية 17، 1425ه-2004م: 36

(2)نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: الشيخ أحمد محمد المقّري التلمساني(ت 1041ه)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت –لبنان، 1388ه- 1968م:3/ 424 .

(لعلَّ) بالاستفهام الذي خرج للطلب على وجه الاسترحام ويستعطف سجانه ويعاتبه بأنَّ استمرار غضبه وسخطه عليه ينكر، فجاء بالجناس (منكر_ينكر)؛ إذ لهذا الجناس الأثر الكبير في تجسيد ظلم سجانه الذي أطال عقوبته، كما استطاع أن يشد المتلقي إلى الأبيات فيؤثر في عقله ومشاعره .

ثالثًا: الخوف من الطلل:

وقد وقف والشعراء الأندلسيين على الطلل وقفة حقيقية نظراً؛ لأنَّ كثيراً من المدن الأندلسية قد خربت– بفعل الحروب والفتن، أو وقفة خيال، وصور ورؤى شعرية ، وتغنوا بعذابات النفس أمام مشاهد الخرائب والعدم ، وذهاب الحركة والحياة [1] فـــ((ظلّت تلك الديار والأماكن شاهدًا حسيًا على متغيرات تلك الحياة الإنسانية التي أصابها الدمار وحلَّ بها الخراب وذهب سكانها الأبرياء))[2]ومن هنا تولّد الخوف من الطلل.

ومِمَّا أَثار مشاعر الحزن والخوف من الطلل، أنهم رأوا فيه رمزاً للحياة والعدم وصورة لتقدم الزمن الذي نزع الحياة من هذه الأماكن وصارت مبعثًا للخوف بعد أن خُليت من أهلها، فضلا عن أنّ الشعراء وجدوا فيها صورة لمرحلة الشباب والشيخوخة .

وابن شهيد يتحسر على معاهد الصبا، إذ مرَّ بها فوجدها خلاء، يذعر منها المارين فتذكر أيام الصبا، فهاج به الشوق والوجد فتفجَّرت دموعه في الانصباب والسيلان، فيقول [3] :

(1)ينظر:الاتجاه البدوي في الشعر الأندلسي، فوزية عبدالله محمد العقيلي، إشراف أ.د محمد محمد أبو موسى، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات، المملكة العربية السعودية، 1431ه–2010م: 235

(2)المكان في الشعر الأندلسي (من الفتح حتى سقوط الخلافة)، د.محمد عبيد السبهاني، دار غيداء، عمان –الأردن، د.ط، 1434ه–2013م: 88

(3)ديوان ابن شهيد:165، (ق: 68)

1- هـــــاتِيـــكَ دارُهـــُمُ تَـــجَـــــدِ الـــــدُّمُـوعُ
فـــــقـــــفْ تَجِـــــدُّ فـــي هَـــمَلانِها
بمَـــــغَانِـــــــها

2- عُجْنَـــا الـــرِّكابَ بـــها دِمَـــنٌ ذَعَـــرْنَ السِّـــرْبَ
فَهَيـــــجَ وَجْـــــدَنَا مـــنِ إدْمَـــانِهَا

3- دارٌ عَهِـــدْتُ بـــها الصِّبا لـــيَ أَتـــفِيـــــأُ الفَـــــرَحـــاتِ
دَوْحـــةً مـــن
أَفْـــــنَانِـــــــهـــــا

اعتصم قلب الشاعر الخوف الحزن، إذ مرّ بالديار فانهملت الدموع في جريانها، ووظَّف الجناس (تجد) بمعنى تشاهد أو ترى و(تجد) بمعنى تكثر ، فأراد أن يجذب المتلقي للشجن والحزن الذي انتابه بالموقوف من الديار، وأحدث وقعاً ممتداً في نفس الشاعر((ومن هنا تأتي مهمة الشاعر في المزج والجمع بين العناصر المتباعدة وتحقيق الوحدة فيها من خلال عاطفته وإحساسه))[1] كما حققت انسجاماً موسيقياً فضلاً عن التصريع في البيت (بمعانيها- هملانها) فيحرك الصورة أكثر فيذكر الركاب الذي مرّ به ، فذعر المارين من وحشة الدمن، فقد تحولت هذه الديار لرمزٍ للخوف والنفور منها، وقف الشاعر بعد ذلك بالطلل وقوفه على مرآة نفسه، فتطوف به ذكريات الصبا ، مقلبًا بها صفحات ماضيه ، فهذه الذكريات الجميلة التي بقيت من الديار هي التي ينشدها الشاعر ويستجديها مشبهاً بالشجرة التي يستظل بأغصانها وتبعث الفرح في نفسه، وقد حَمل الطلل دلالتين نفسيتين متضادين : الأولى: حالة الخوف والذعر التي تبعثها هذه الدمن بعد خلائها من البشر وتبدّل حالها، يقابلها بحالة الفرح التي تبعثها حيث يتذكر بها أيام صباه التي تسعد نفسه، حين يصبح

(1)قصيدة المديح في الأندلس، -قضاياها الموضوعية والفنية-عصر لطوائف: د أشرف محمود نجا:227

أحياناً استدعاء الماضي إحدى ضرورات التعزي لدى الشاعر عن آلام حاضره؛ لأنَّ حديث الذكريات قد ينتشله من كآبة واقعه المرير فيتجاوز خوفه وضغوطه[1].

والشاعر يقف في الطلل معتبراً للحياة الذاهبة والأيام الغابرة، فيصوَّر كيف تبدّلت أحوالهم، والإلبيري يدعو إلى الوقوف على طلل السابقين والملوك وأخذ العبرة منهم، ويدعوهم إلى الحذر عند المرور بالطلل فقد انمحت معالمها، وأصبحت محلاً للوحش، بعد أن كانت تزهو بأهلها، فيقول[2] :

23- وطُـــفِ البِلادَ لكَي تَرى آثارَ مـــــــــنْ قَـــــدْ كانَ يَملـــــــكُها مِـــــــــنْ الأَقيـــــــــالِ

24- عَصَفَتْ بِـــــــهِمْ ريحُ الرَّدى فذرَتُـــــــهمُ ذَروَ الرّياحِ الـــــهوجِ حِقـــــــفُ رِمـــــــالِ

26- واحـــــــبسْ قَلـــــوصَكَ ساعَـــةً بطُلولِهم واحـــــــذَرْ عَليـــــكَ بِـــــها مِـــــنَ الأغـــــوالِ

27- فَـــــلَكَمْ بِـــــــها مـــــــن أُرقَمٍ صـــــلَّ وكَـــــمْ قَـــــدْ كـــــانَ فيـــــها مِـــــــن مَـــــهاً وغَـــزالِ

الشاعر هنا لا يبكي ويندب الطلل كما عهدناه لدى الشعراء، إنّما وقف يتأمل ما حلّ بها ويدعو إلى أخذ العبرة منها، فيجعل من عفاء الديار درساً ، ويأتي تكرار أسلوب الأمر مناسباً (طف، احبس، احذر) فجسد أسلوب الأمر الحذر والخوف الذي انتابه خلال مروره بهذه الديار فأراد ثني المتلقي عنها؛ لأنّها لم تعد مواطن إنس فقد أصبحت مرتع للأغوال والأفاعي بعدما عصفت بهم رياح الفتن والحروب،

(1)ينظر: الموقف النفسي عند شعراء المعلقات : د. مي يوسف خليف، دار غريب، القاهرة– مصر، د. ط، د.ت: 42

(2)ديوان الإلبيري: 41

فقوله(عصفت بيهم ريح الردى) كناية عن عن الحروب والفتن التي نزلت بهذه المدن.

والشاعر عندما ((يقف الديار ، ويحيل نظراته في أنحائها ويرى بقاياها البالية المهجورة تغالب الفناء، وتظلّ قائمة تثور في نفسه الذكرى))[1] فيقف يقارن بين موقفين : الأول حاضر هذه المعاهد والمدن التي أصبحت خلاء تجوبها الأفاعي وغدت باعثاً للخوف والنفور منها ، والموقف الثاني ماضي هذه الديار التي كانت عامرة بأهلها وبالغزلان والمها وهي استعارة ويقصد بها النساء الحسناوات، وأحدث هذا تداخل بين الماضي والحاضر، لعلّ استذكار الماضي يخفف وطأة الحاضر ويسكن مخاوفه، فتجسد خوف الشاعر في الموقف الأول وتصويره لحال هذا الطلل، وصوّر اللحظة الحاضرة وثقلها بـــ(فكم بها من أرقم) وهي تعطي إشارة إلى مجموعة كبيرة من الأفاعي التي أصبحت هذه المنازل مسكناً لها مما يبعث الرعب والنفور عنها، ويقابلها (وكم كان فيها من مها..) وهي تعطي صورة عن الاطمئنان والحياة الزاهية التي ولتْ وولى معها الأمن .

وراع الطلل ابن خفاجة إذا وجد فيها تحكي تحول شبابه إلى الشيخوخة ، فأفزعه موت الأحبة وفناء ديارهم، فوقف يندب معاهد الشباب ويتألم لموت الأحباب أثر سيل عفا الديار[2]،فصوَّر لحظة وقوفه وما راوده من انفعالات في أبيات مفعمة بالأحاسيس الحادة و العاطفة الجياشة، قائلاً [3] :

1- أَلاَ عَـــرِّسَ الإخْـوانُ في سَـاحَةِ البِلَى وَمَا رَفَـــعُـــوا غَـــيْرَ الْقُـــبُورِ قِبـــــــــابَـــاَ

2- فـــدَمْـــعٌ كَمـــاَ سـَحَّ كَمـــاَ ضَـــرَمَتْ رِيـحُ الشَّـــمالِ

(1)شعر الوقوف على الأطلال من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث، دراسة تحليلية، د.عزة حسن، دمشق- سورية، 1388ه-1968م: 62

(2)ينظر: التصوير بالتضاد في تجربة الفقد في الشعر الأندلسي، أ.د حميدة صالح البلداوي، و أفراح علي عثمان، مجلة كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، مج 27، ع2، 2016: 478

(3)ديوان ابن خفاجة:177-178، (ق:132)

الْغَـــمـــامُ شِـــهَابَا
ولـــوَعْـــةٌ

3- إذَا اسْتَـــوْقَـــفَتْـــني تـــلَدَّدْتُ فـــيهـــا
في الدِّيار عِشِـــيَّةً جَـــيْئـــةً وَذَهـــابـــا

4- أَكُـــرُّ بِـــطَرْفِـــي ثَـــكِلْتُـــهُمُ بِـــيـــضَ
فـــي مَـــعَاهِـــدِ الوُجـــوهِ شَـــبَابـــا
فِتـــيْةٍ

5- فَـطَـــالَ وُقُـــوفـــي أُنَـــادي رُسُـــومًـــا لا
بَيـــنَ وَجْـــدٍ تُـــحِيـــرُ جَـــوَابـــا
وزَفـــرْةٍ

6- وقَـــدْ دَرَسَـــتْ فَـــلَـــمْ أَرَ إِلَّا
أَجـــسامُهـــمُ أقْـــبُـــراً
وَدِيـــارُهُـــمْ وَيَـــبَـــابـــا

7- وحَسْبِيَ شَجْواً أَنْ أَرَى الدَّارَ خَـــلاءً وأَشْـــلَاءَ
بَلْـقَعاً(*) الصِّـــدِيـــق
تُـــرَابـــا

تتزاحم الانفعالات وتتعالى في هذه الأبيات، معبّرة عن العاطفة الأليمة الجزعة من فكرة الفناء والموت التي تجسدت في الطلل ، فيستهلّ الأبيات بـــ (ألا) الخطابية التي يريد من خلالها تنبيه المتلقي وجذبه إلى المصاب الجلل وهو موت الرفاق واندثار منازلهم، فبؤرة الخوف في النص هي فكرة الفناء ووقوفه على الطلل أثار المشاعر المرتعبة لديه، فسيتذكر الشاعر ماضي الديار والرفقة، وكيف تحول حاضرها إلى قبور وبقايا آثار فيرتعب من اندثار وفناء هذه الديار وأهلها متخيلاً ما سيؤول إليه .

(*)البلقع: الأرض القفر التي لا شيء بها. لسان العرب: للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري (ت 711ه)، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت: 8/ 21.

فالطلل هو رمز التحول من الماضي، ونقيض مباشر للحاضر، فالماضي دائم الحضور في الطلل بخلاف الحاضر الذي لا يتكشف جوهره إلا من خلال صدمه بالماضي المشرق [1] فالشاعر يلجأ في كل أبيات إلى الأسلوب الخبري التقريري الذي يتماشى مع الذهول الذي أصابه لوقوفه في الديار، فيصف نفسه وقد وقف في حاضر هذه الديار بين وجد وجزع وزفرة ، واعتمد ملمحًا بلاغيًا هو التشخيص، فشخص من الديار كائنًا حيًا ويخاطبها (أنادي رسوما لا تحير جوابا) ولكن لا تجيبه، وتشخيصه للمكان يدلُّ على عمق احساسه بمرارة الفقد، كما يطالعنا الطباق في قوله (أجسام –أقبراً) (الديار– اليبابا) وهذا الطباق يجسد الماضي والحاضر ويقارن بينهما ونجد تكراراً بارزاً للأفعال الماضية وهذا يدلُّ على تعلقه الشديد بماضيه فوجد في الطلل محاكاة لمرحلة الشباب والشيخوخة ، فماضي هذه الديار يحيل الشاعر لمرحلة شبابه الذي فقده، ويخشى أنْ تكون شيخوخته ومستقبله كحال هذه الديار التي خطف الموت أصحابها وضعف عوده.

كما وقف الشاعر الأندلسي ((على أطلال مدينته الخربة التي هدمتها الفتنة أو أحرقها الأعداء ، فهو يبكي كذلك عهود الحياة الهانئة السعيدة التي ولَّت بعد أن كان الشمل فيها مجتمعاً والعيش مطمئناً))[2] فذكر الأطلال وندبها في القصيدة الأندلسية، لم يكنْ محض خيال فقط ،بل كان نتاج المجتمع ، فالطلل كما ذهب إليه الدكتور يوسف اليوسف هو نتاج المجتمع وأنّ الوعي الاجتماعي هو الذي أفرز الطللية لتكون أبرز تجلياته التي يفيض بها صورته وهيئته الداخلية[3] فهو يعبر عن رؤية الشاعر وانفعالاته وواقعه، وهو حديث صادق لما يشعر به الشاعر أمام مدنه التي تحولت لخراب وتساقطت أمامه، فكان من الطبيعي أن يرهبه منظرها.

---

(1)مقالات في الشعر الجاهلي، يوسف اليوسف، دار الحقائق بالتعاون مع ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر، ط3، 1983م: 121

(2)الحياة والموت في الشعر الأندلسي:149

(3)ينظر: الطلل في النص العربي دراسة في الظاهرة الطللية مظهراً للرؤية العربية، سعد حسن كموني، دار المنتخب العربي، بيروت –لبنان، ط1، 1419ه–1999م: 36

واتخذ الأندلسيون من هذه المدن رمزًا للطلل؛ وذلك للخراب الذي حلَّ بها وهاجرها أهلها، وخير شاهد على ذلك الفتنة القرطبية التي فتكت في المدينة، وتحول أمنها خوفاً وتبدّلت قصورها طللاً، فأثرت عاطفة الشعراء، فوقف عندها ابن شهيد يتحسر عليها بعد أن أصبحت أطلالاً بدون أهلها، ولم يبقَ سوى الفراق والحسرة على تلك الديار، وخيَّم البؤس على أهلها وحلَّت بهم المصائب، فيقول [1] :

1- مَا فِي الطُّلُولِ مِنَ الأَحِبَّةِ مُخْبِرُ ... فَمَنْ الَّذِي عَنْ حَالِهَا تُسْتَخْبِرُ؟

2- لَا تَسْأَلَنَّ سِوَى الفُرَاقِ فَإِنَّهُ ... يُنْبِيْكَ عَنْهُم أَنْجَدُوا أَمْ أَغْوَرُوا

3- جَارَ الزَّمَانُ عَلَيْهِمُ فَتَفَرَّقُوا ... فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ وَبَادَ الأَكْثَرُ

4- جَرَتِ الخُطُوْبُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِم ... وَعَلَيْهِمُ فَتَغَيَّرَتْ وَتَغَيَّرُوا

5- فَدَعِ الزَّمَانَ يَصُوغُ فِي عَرَصَاتِهِمْ ... نُوُراً تَكَادُ لَهُ القُلُوْبُ تُنَوِّرُ

6- فَلَمِثْلِ قُرْطُبَةٍ يَبْكِي بِعَيْنٍ ... يَقِلُّ بُكَاءُ مَنْ دَمْعُهَا مُتَفَجِّرُ

....

18- يَاجَنَّةً رِيحُ النَّوَى

(1)ديوان ابن شهيد:190-110، (ق: 226)

عَـــــصفَتْ بـــــها فـــــتَدَمَّرتْ
وبـــــأَهْلِها وتَدَمَّـــــــــرُوا
20- كَـــــانَـــــتْ يـــــأْوِي إلَـــــيْها
عـــــراصُـــــك الخائـــفُونَ فيُنْصَرُوا
للمُـــــــــيَمَّمِ مَـــكَّةَ

تعتصر نفس الشاعر ألماً وحزناً حين يقف بأطلال الأحبة فراح يجسد انفعالاته ومشاعره من خلال النفي المتبوع بالاستفهام الانكاري ، (مافي الطلول) (فمن الذي عن حالها) فهذا التساؤل جاء مخبراً عن حالة الخراب الذي صارت إليها المدينة لم يبقَ سوى الطلل ، فلا يريد إجابة عن سؤاله، إنّما أراد التعبير عن الجزع والحزن الذي انتابه، ثمَّ يوظَّف النهي(لا تسألن) للاستخبار فهو يريد أن يقول لم يبق سوىَ الفراق فغادروا أهلها، ويشخص الفراق ويجعله بشرًا تسأله، ويواصل وصف ما حلّ بها، لينتهي لحقيقة مفادها مهما بكيت قرطبة فهو قليل وهذه مبالغة لحجم الكارثة التي حلّت، واستطاع أن يرسم لنا صورة قرطبة الحزينة بعد أن كانت جنة الدنيا ومأوى الخائفين فعصفت بها الفتن والحروب وفرقت أهلها فيأسى عليها الشاعر.

والألفاظ (الفراق، انجدوا، باد، الخطوب، البكاء، متفطر، تدمّرت، تدمّروا، الخائفون)) هي مفعمة بالحزن والآلام وتلك الألفاظ جسَّدت خوف الشاعر وبعثت الريبة وجعلت الخوف يتغلغل في نفسه.

فهذا الطلل لم يعد ((شارة بارزة من حجارة، نؤى وأثافي، وإنّما صار الطلل في أغوار النفس شقوقاً وأخاديد يحتقرها سيل الدهر احتقاراً فتنبجس منها الأحاسيس وقد اترعت حزناً وهما))[1]

والشاعر السميسر(480ه أو484ه) هاله منظر مدينة الزهراء، بعد أن تحولت – المدينة المعروفة بجمالها– إلى دمار وخراب، فراح يبكيها، قائلًا[1] :

(1)فلسفة المكان في الشعر العربي، د.حبيب مونسي، اتحاد الكتاب العرب، د. ط، د.ت :16

مُـــــــــعْـــــــــتَبِـــــــــــرَاً

ــــــــــرَاءِ أَنْـــــــــدُبُ أَشْتَاتَاً

ــــــلْتُ : قَـــــــالَـــــــــتْ : وَهَلْ يَرْجِعُ مَنْ مَاتَا ؟!

ـــــارْجِعِي

ـــــمْ أَزَلْ هَيْـــــــــــــهَـــــــــــاتَ يُـــغْنِي الدَّمْعُ هَيْهَاتَا

كِي بِهَا

عبَّرَ الشاعر عن هول الخطب من خلال عاطفته الحزينة تجاه هذا المكان، فجاءت الأبيات مفعمة بالدلالات الحزينة، وأول ما يطالعنا الجناس الناقص الذي جاء واصفًا لحاله بين (مستعبرًا/ معتبرًا) فــ(مستعبرًا) تعني المنهمل دمعه ولا يسمع بكائه، و(معتبرًا) متأمل ومتدبر ما حلَّ، فقد أضفى مسحة فنية على الحالة النفسية للشاعر فأسهم في جذب المتلقي للأبيات، ونتّلمس خوف الشاعر عن طريق لفظة(معتبرًا) ، فالشاعر في حالة من التفكير والتأمل بعاقبة هذا الخرب فهو في خشية ورهبة مما سيؤول إليه مصير هذه المدن وأهلها.

ونحى بعد ذلك منحًا قصصيًا من خلال أسلوب الحوار، معتمدًا ملمحًا بلاغيًا هو التشخيص، فيخاطبها طالبًا منها أن تعود لسابق عهدها، فتظهر نفسيته المتشائمة المتيقنة لهول الخطب، بإجابة هذا الطلل هل يرجع من ماتا،((ولا يقل الحوار أثرًا في الكشف عن المستوى النفسي لمشهد الوقوف على أطلال الزهراء، فقد حول الحوار اللوحة البكائية...إلى لوحة ناطقة))(2) نطقت بما اختلج في نفسه من خوف وحزن من إمكانية عدم عودة هذه الديار لسابق عهدها، وشحنَ الأبيات بالألفاظ الدالة على الندب

(1)السميسر حياته وشعره، د. حلمي إبراهيم الكيلاني، مجلة مؤتة، الأردن، مج/7، ع/1، 1413ه-140: 132، (ق: 7)

(2) الرثاء في الأندلس عصر ملوك الطوائف، فدوى عبد الرحيم قاسم، إشراف: د. وائل أبو صالح، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، قسم اللغة العربية، أيار 1423ه-2002م: 191

والحزن (مستعبرًا، أندب، أشتاتا، ماتا، أبكي) كما تكرار أنّ الفعل المضارع (أبكي) دلَّ على استمرار بكائه حزنًا وخوفًا لما حلَّ في الديار، والبكاء علامة من علامات الخوف.

الخوف من الصحراء:

الأندلس بلاد ذات طبيعة خلابة تحيطها البحار من ثلاثة جاهات، والأماكن الصحراوي فيها تكاد تكون معدومة، لكن هذا لا يمنع أن يكون للصحاري والقفار حظور في الشعر الأندلسي، وأن تكون باعث للخوف، لاسيَّما أَنَّ الشعراء قطعوا القفار في رحلتهم إلى المغرب والمشرق العربي فصوّرا ما واجههم من مخاطر ومخاوف خلال رحلتهم.

فتجسدت مشاهد الخوف في ظلمة الصحراء ووحشتها، فتُسمع في الفيافي عزيف الجنان، ودوي الرياح وعوي الذئاب[1]

فقال ابن خفاجة مصوراً الموقف المهيب الوحدة الموحشة في الصحراء، لا سيما عند اقترانها بالظلمة، فيقول[2] :

1- وَ مَفَازَةٍ لاَ يَسْرِي وَلا
نَجْمَ فِي فَلَكٌ
ظَلْمَائِهَا بِهَا
دَوَّار

فابن دراج رسم صورة المفازة المظلمة، خالية حتى من الكواكب والنجوم، وهذه الصورة نابعة من نفسه الخائفة.

(1)ينظر: الاتجاه البدوي في الشعر الأندلسي، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، فوزية عبدالله محمد العقيلي، إشراف: أ.د. محمد محمد أبو موسى، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، 1431ه-2010م: 287.

(2) ديوان ابن خفاجة: 86، (ق: 47)

وفي أبيات أخرى خيَّل له أن الصحراء هي الموت، وهو كرة تلعب بها أيدي الصحراء، فيقول:[1]

39- مُـــــــتَـــــرَدِّدًا يَرْمِي بِه كُـــــــرَةً
خَـــوْفُ الـــــــرَّدَى تـــــَـــهـــادَهَـــــــــــــا
أكُـــــُـفُ قـــــفـــــــارِ

عبّرَ الشاعر عن حالة الخوف التي تنتابه بسبب الموت، بالكرة غير المستقرة "تهادها أكف القفار" فاستعان بالصورة الاستعارية المركبة، مشبهاً نفسه بالكرة، والقفار بالكائن حي الذي يرمي به بين الصحاري، وهي صورة توحي بالخوف والقلق الذي اعترى الشاعر خلال رحلته في الصحراء.

ابن حمديس الصقلي يراوده الخوف عندما فكر بالرحيل عن الأندلس، والانتقال إلى بلاد المغرب، فمثّلت له الصحراء مبعثًا للفزع، فرسم صورة هذه الرحلة، قائلًا [2]:

17- وأجـــــرى سفـــــينَ مِـــــنْ الآل هّـــــزّتْ
البـــــرّ في لُـــــجّ زئبق جـــــانبـــــــيه جَنُوب
.....
21- ومشحونةٍ بالخوفِ لا أمـــــنَ كـــــأنّك فيـــــها
عندها حيـــــثُ ســـــرْتَ مُريـــبَ
22 كأنّـــــكَ فـــــي ذنبٍ فـــــأنْـــــتَ إلى
عَـــــظِيْمٍ بِـــــقَطْـــــعِهَا الـــــرَّحمن مـــــنْهُ تتوبُ

فالبلاد التي سافر إليها ابن حمديس صحراوية لذا راوده الخوف من تلك البيداء، فاتكأ الشاعر على الطبيعة (البيداء)، لتجسيد مخاوفه من الغربة، فرسم لوحة تجسّد كل معاني الخوف والقلق، مستهلاً أبياته بالفعل الماضي (وأجرى)؛ ليفيد تحقيق حدوث مخاوفه في رحلته، ويصف فيها سير الجمال وسرعتها وكأنها زئبق

(1)ديوان ابن خفاجة: 36 (ق: 2)
(2) ديوان ابن حمديس: 39، (ق: 29)

من شدّة سرعتها، وهذه السرعة يتجلّى منها دلالة نفسية، وهي أنَّ هذه السرعة تناسب ما عاشه الشاعر من تزايد وتسارع في دقات القلب نتيجة للمخاوف التي تلهج في قلبه، واسترسل الحديث عن البيداء وهو مكان مكلل بالمخاوف لا أمنَ فيها، فلفظة" مشحونة" التي تصدرت البيت الثاني دلَّت على تعدد وتنوّع أشكال الخوف من الحيوانات المفترسة وندرة الماء، وامتداد الأرض ومشاق السفر فهو مكان مليء بالمفاجآت[1]، وكل هذا يشكّل مصادر خوفٍ وفزع للشاعر، وقد عَكَسَ التشبيه الضمني ما في نفسه من ذعر، فشبه حالة خوفه وهو في الصحراء، بالمُذنب الذي أرتكب ذنبًا كبيرًا هو مفزع يريد التوبة إلى الله تعالى، فهذه الصورة أيضًا تعضد دلالات الخوف؛ لأنَّ أشدّ ما يخشاه الإنسان المؤمن هي الذنوب؛ لأنَّها السبب في غضب الله تعالى عليه، فيسعون للتوبة والتكفير عن ذنوبهم، ففي هذا الوصف بين أنّه وصل أقصى درجات الخوف، ونلحظ أنَّ الشاعر عمد إلى أسلوب المُخاطَب، من خلال تكرار ضمير الخطاب(الكاف)، فأراد من المتلقي أن يشاركه أحزانه ومخاوفه واغترابه.

والملاحظ أنّ الشاعر نظم الأبيات على البحر الطويل (فَعُوْلُنْ مَفَاْعِيْلُنْ فَعُوْلُنْ فَاْعِيْلُنْ) وهذه التفعيلات تتميز بالجزالة والقوة، بما يناسب شدّة مخاوفه وقوة المخاطر، فضلًا عن الامتداد الواسع الذي يعطيه فيتسع للكثير من المعاني[2] فاستوعب انفعالاته المتهيجة.

الخاتمة :

1. تبين لنا أنّ شعر الخوف عامة لم يشكل غرضاً أو موضوعاً مستقلاً، بل جاء مبثوثاً في الأغراض الشعرية

(1) ينظر: بواعث القلق في الشعر الأندلسي : 115

(2)ينظر: أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة- مصر، ط10، 1994م: 322

2. للمكان حضور قوي وفاعل في النفس الإنسانية، يثير فيها انفعالات نفسية خائفة عكسها الشاعر في أشعاره

3. يتَّضح مما تقدم أن خوفهم من القبر نابعٌ من نظرة دينية ومتصل بما ورد في الدين الإسلامي عن حياة القبر، لذلك جاءت أشعارهم حافلة بالصور والمعاني المقتبسة من القرآن الكريم.

4. ونستخلص مما تقدم أنَّ السجن شكّلَ موقفًا عدائيًا مرعبًا لدى شاعر القرن الخامس، ورسم الخوف على وجوه سجنائه؛ لذا نجده يتقلب فتارة يبكي لسلب حريته، وتارة يستعطف، وتارة يرسم مشاعره وانفعالاته الخائفة، وتارة يصف هول المكان، واتكأ على بلاغة التشخيص والتجسيد من خلال محاورة القيود تخفيفًا عن مخاوفهم.

5. كان الطلل صورة لأحوال النفس التي عانت من تقلب الزمان، فيتضح أَنَّ الأَطلال كانت تثير مخاوفهم بوصفها أماكن مهجورة، وتجسد معاني الذهاب وأيضاً بوصفها رمزاً لتقلب الزمان وتبدّل أحوالهم فولّدت لديهم خوفاً من المستقبل فعبارات البكاء والندب والدموع التي وجدناها هي تحاكي لهيب نفوسهم المرتعبة

6. وتوضح عن طريق الشعر أنه ظهر خوف من نوعين من الطلل، الطلل التقليدي الأماكن القفر وكثيراً ما كان ذكرها والتخوف منها ليس على السبيل الحقيقة بل كان حديثهم عن الطلل تجسيداً لمشاعرهم الخائفة؛ لأنهم وجدوا فيها محاكاة لمرحلة الشباب والشيخوخة، والموت والحياة، والطلل الحقيقي وهي انقاض مدنهم التي خربتها الفتن.

Refrrences

1. Yassin Al-Nasr,The Novel and the Place, **House of General Cultural Affairs,** Baghdad - Iraq, Dr. I, Dr. T, Part 2: 16
2. Dar Ghaida, Jordan,**The place in Andalusian poetry from the conquest until the fall of the caliphate** (92-422 AH), Dr. I, 1434 AH-2013 AD: 105
3. Prof. Dr. Ahmed Hajim Al-Rubaie, **The Image of the Other in Andalusian and Moroccan Poetry**, Dar Ghaida for

Publishing and Distribution, Amman - Jordan, Dr. I, 2018: 327

4. Dr. Munjid Mustafa Bahgat, (1986) **Al-Risala Foundation ,The Islamic trend in Andalusian poetry during the reigns of the Taifa and Almoravid kings:,** Beirut-Lebanon, 1st edition, 1407 : 404.

5. Muhammad bin Issa Al-Tirmidhi, (1998) **The Great Mosque - Sunan Al-Tirmidhi,** (d. 279 AH), T: Bashar Awad Maarouf, Dar Al-Gharb Al-Islami, Beirut, 1998 AD: 4/130

6. D. Miqdad Rahim, Al-Astad Magazine**, (2013) The philosophy of life and death in Andalusian poetry**, p/207, vol./1, 1435 AH-2013 CE: 116

7. Wahdi Abdel-Hamid, **Asceticism in the Poetry of Abi Ishaq Al-Ilbiri**, Master Thesis University of Mohamed Khidr-Biskra, Faculty of Arts, Humanities and Social Sciences, Republic of Algeria, 2008-2009: 80

8. Dr. Hatem Salih Al-Damen (1411 AH-1990 AD) **Philology**, Juma Center for Culture and Heritage, Baghdad - Iraq, Dr. I, 152

9. Faiza Reda Shaheen Al-Azzawi, (1434 AH-2013 AD) **Life and death in Andalusian poetry**, the era of the Almoravids until the end of Arab rule, 484 AH-897 AH, PhD thesis, an analytical-critical study, College of Education at Tikrit University,: 129

10. Muhammad Owaid Muhammad Al-Sayer, **Research and Studies in Andalusian Poetry**, Followed by (Ibn Hudhail Al-Tajibi Al-Gharnati) Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut - Lebanon, Dr. I, Dr. T: 57

11. D. Ihsan Abbas (1960) **The history of Andalusian literature, the era of the rule of Cordoba, Egypt** - Cairo, 1st edition, 1960: 78

12. Muthanna Abdullah Al-Matiouti (2013),**The movement of space in Andalusian poetry, the texts of Ibn Zaydun as a model**. Dar Majdalawi, Amman - Jordan, 1st Edition, 2013: 88

13. Dr. Ahmed Ali Al-Falahi**,** (2013) **Alienation in Arabic Poetry in the Seventh Hijri Century (Social and Psychological Study**) Dar Ghaida for Publishing and Distribution, Amman_Jordan, 133

14. , Abdullah Abd Abd Al-Ali (1435 AH-2001 AD) **Motivations of Anxiety and Its Manifestations in Andalusian Poetry, Almoravid Era (analytical study),** PhD thesis supervised by M. Nidal Ibrahim Yassin, University of Basra, College of Education, Department of Arabic Language: 126

15. Prof. Dr. Yunus Shanwan, **Fear in Umayyad Poetry**, PhD thesis, Hussein Muhammad Mahmoud Obeidat, supervised Yarmouk University, Faculty of Arts, 2012-2013: 80

16. Dr. Hani Al-Amad 1996,**The Prison Experience in Andalusian Poetry**, Master Thesis, Rasha Abdullah Al-Khatib, supervised University of Jordan, College of Graduate Studies,: 37

17. Muhammad bin Ammar Al-Andalusi**, A historical literary analytical study**: d. Salah Khalis, Al-Huda Press, Baghdad, 1957: 309, (S: 73.(

18. Fawaz Ahmed Muhammad Salih Al-Taie, **Life and Death in the Poetry of the Era of Sects in Andalusia**: Dar Ghaida, Amman, Dr. I, 2019 AD: 175

19. D. Atef Gouda Nasr **Imagination, its concept and functions,** , Dr., 1984: 262

20. D. Hazem Abdullah Khader (1987) **Animal description in Andalusian poetry, the era of the sects and the Almoravids**: House of General Cultural Affairs, Baghdad - Iraq: 221

21. The Poetic Image of Khalil Hawi, The Gift of Juma Al-Bitar, National Book House, Abu Dhabi, 1st Edition, 2010: 236

22. D. Fadel Al-Samarrai (2007) **The meanings of buildings in Arabic**, Dar Ammar, Amman, 2nd Edition: 52

23. Dr. Hamid Abdel Majeed (1421 AH-2000 AD) **The Diwan of Al-Mu'tamid Ibn Al-Abbad, King of Seville**, compiled and verified by: d. Ahmed Ahmed Badawi, reviewed by: d. Taha Hussein, Egyptian Book House Press, Cairo, 3rd edition, 100.

24. D. Abdul Aziz Ateeq **(**1407 A.H.-1987 A.D) **Prosody and rhyme**, Dar Al-Nahda Al-Arabiya, Beirut_ Lebanon, Dr., 172

25. D. Abdulaziz Ateeq,Diwan Ibn Hazm Al-Andalusi (1431 AH-2010 AD) **collection and investigation** Dar Sader, Beirut, 1st edition,: 100

26. Sayyid Qutb 1425 AH-2004 AD **Artistic representation in the Holy Qur'an:**, Dar Al-Shorouk, Cairo_Egypt, ed. Al-Sharia 17,: 36

27. Sheikh Ahmad Muhammad al-Maqri al-Talmisani **Nafah al-Tayyib from the moist branch of Andalusia** (d. 1041 AH), investigation: Dr. Ihsan Abbas, Dar Sader, Beirut - Lebanon, 1388 AH - 1968 AD: 3/424.

28. Prof. Dr. Muhammad Muhammad Abu Musa (1431 AH-2010 AD) **The Bedouin Trend in Andalusian Poetry**,

Fawzia Abdullah Muhammad Al-Aqili, supervised PhD thesis, Umm Al-Qura University, College of Arabic Language, Department of Studies, Kingdom of Saudi Arabia,: 235

29. Dr. Ashraf Mahmoud **Naga A poem of praise in Andalusia - its objective and artistic issues** - an era of sects: 227

30. D. Mai Youssef Khalif,**The psychological position of the Muallaqat poets**: Dar Gharib, Cairo-Egypt, d. I, D.T.: 42

31. Dr. Azza Hassan (1388AH-1968AD **) The Poetry of Standing on the Ruins from the Pre-Islamic period to the end of the third century, an analytical study**, Damascus-Syria,: 62

32. Prof. Dr. Hamida Salih Al-Baldawi (2016) **Imagery by Contrast in the Experience of Loss in Andalusian Poetry**, and Afrah Ali Othman, Journal of the College of Education for Girls, University of Baghdad, Vol. 27, P2: 478

33. Youssef Al-Youssef 1983 AD) **Articles in Pre-Islamic Poetry**, Dar Al-Haqeeqat in cooperation with the University Publications Office in Algeria, 3rd Edition,: 121

34. Saad Hassan Kamoni (1419 AH-1999 AD)**, Desolation in the Arabic text, a study of the precipitous phenomenon as a manifestation of the Arab vision**, Dar Al-Muntakhab Al-Arabi, Beirut-Lebanon, 1st edition: 36

35. Dr. Habib Munsi, **The Philosophy of Place in Arabic Poetry**, Arab Writers Union, d. I, D.T: 16

36. D. Helmy Ibrahim Al-Kilani, **Al-Samisir, his life and poetry**, Mutah Magazine, Jordan, Vol./7, P/1, 1413 AH-140: 132, (Q: 7(

37. Fadwa Abd al-Rahim Qasim, (1423 AH-2002 AD)**Lamentation in Andalusia, the era of the kings of the**

sects, supervision: Dr. Wael Abu Saleh, Master Thesis, An-Najah National University, College of Graduate Studies, Department of Arabic Language, May: 191

38. Fawzia Abdullah Muhammad Al-Aqili**,** 1431 AH-2010 AD: **The Bedouin Trend in Andalusian Poetry,** a thesis submitted for obtaining a PhD degreesupervised by: Prof. Dr. Muhammad Muhammad Abu Musa, Umm Al-Qura University, College of Arabic Language, 287.

39 Ahmed Al-Shayeb, **The Origins of Literary Criticism**, The Egyptian Renaissance Bookshop, Cairo - Egypt, 10th edition, 1994 AD: 322

Fear of place, in Andalusian poetry - The fifth century. AH

Raghda Basman Al-Saygh *

Fawaz Ahmed Mohamed**

Abstract

Fear is one of the most important manifestations, that afflicts the human self. Any self is not without this feeling, so fear had its abundant poetic space, and the Andalusian poet took care of this emotional obsession. Religious fear was at the top of the poet's fears, as the religious aspect had a great influence in igniting fear in the hearts and poems of Andalusians. How not!, The Islamic doctrine calls for fear of God and fear of the Day of Resurrection, and God obliged people to fear Him, and forbade them to fear others. The poets complied to this call, and stood by it. They pictured its appearances and goals, but there is no exaggeration

* **PhD student/Department of Arabic Language/College of Arts/University of Mosul.**

** **Lect/Department of Arabic Language/College of Arts/University of Mosul.**

when we say: They embodied him alive, even to the extent that it moves in the selfs of the listener.

The research focused on:

1- Tracing the evidence of the religious fear of the poets of the fifth century, and revealing the ability of poetry to draw the details of the human soul in its fear and reverence.

2- Finding the extent of the poet's ability to use language methods and poetic images in expressing fear and conveying it to the recipient.

Key words: Fear of place, Fear of the grave ،Fear of prison**.**